الفوائد الجنية من الهجرة النبوية (٦)

سلمان بن يحي المالكي

رابعا : الثبات على المبدأ .

إن الله تعالى خلقَ الخلق ليعرفوه ويعبُدُوهُ ، ونصبَ لهم الأدلةَ الدالةَ على كبريائهِ وعظمته ليهابُوه ، وقد اقتضت حكمتُه سبحانه وتعالى أن جعلَ الابتلاءَ سنةً من سننِ اللهِ الكونيةِ ، وأن المرءَ بحاجةٍ إلى تمحيصٍ ومراجعةٍ حتى يتميَّزَ الخبيثُ من الطيبِ ، والمؤمنُ من غيره ؛ فالسعيدُ من اعتصم بالله ، وأناب ورجعَ إلى الله ، والمؤمنُ الصادقُ ثابتٌ في السراءِ والضراءِ " الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ " " أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ "

إن هجرةَ النبي صلى الله عليه وسلمَ إلى المدينةِ كشفتْ لنا معالمَ في الشدةِ والرخاءِ ، والعسرِ واليسر ، وأبانت لنا عن معادنِ النفوسِ ، وطبائعِ القلوب ؛ ومن عَلِمَ حكمةَ الله في تصريفِ الأمور ، وجريانِ الأقدارِ فلن يجدَ اليأسُ إلى قلبه سبيلاً ، ومهما أظلمتِ المسالكُ وتتابعتِ الخطوبُ وتكاثرتِ النكباتُ ؛ فلن يزدادَ إلا ثباتاً ؛ فالإنسانُ إلى ربه راجع ، والمؤمنُ بإيمانه مستمسكٌ وبأقدارالله مسلّم ، وإن من معالمِ هذه الهجرةِ النبويةِ المباركة : الثباتُ على المبدأ ، الثباتُ على الدينِ والاستقامةُ عليه ، ذلك أن الثباتَ على دينِ اللهِ والاعتصامَ به يدلُ دلالةً قاطعةً على سلامةِ الإيمانِ ، وحسنِ الإسلامِ وصحةِ اليقين .

إن الثباتَ على دينِ الله خُلُقٌ عظيمٌ ، ومعنى جميل ، له في نفسِ الإنسانِ الثابتِ وفيمن حولَه من الناسِ مؤثراتٌ مهمةٌ تفعل فِعْلَها ، وتؤثرُ أَثَرَهَا ، وفيه جوانبُ من الأهميةِ الفائقةِ في تربيةِ الفردِ والمجتمع .

إن صفةَ الثباتِ على الإسلامِ والاستمرارِ على منهجِ الحق نعمةٌ عظيمةٌ حبا الله بها أولياءَه وصفوةَ خلقه ، وامتنَّ عليهم بها ، فقال مخاطباً عبدَه ورسولَه محمداً صلى الله عليه وسلم " وَلَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً "

إن الثباتَ على دينِ الله دليلٌ على سلامةِ المنهجِ ، وداعيةٌ إلى الثقةِ به ، وهو ضريبةُ النصرِ والتمكينِ والطريقِ الموصلةِ إلى المجدِ والرفعةِ ، ألم تروا كيف ثبتَ صلى الله عليه وسلم في

دعوتِه قبلَ الهجرة وبعدَها ؟ ألم تروا كيف مُكِّن وأُعزَّ ونُصِرَ بسبب ثباته على مبدأه صلوات ربي وسلامه عليه ..؟

إن الثباتَ طريقٌ لتحقيقِ الأهدافِ العظيمةِ ، والغاياتِ النبيلةِ ؛ فالإنسانُ الراغبُ في تعبيدِ الناسِ لربِ العالمين والعاملُ على رفعةِ دينه وإعلاءِ رايتِه لا غِنَى له عن الثبات .

إن الثباتَ يعني الاستقامةَ على الهدى ، والتمسكَ بالتقى ، وقَسْرَ النفسِ على سلوكِ طريقِ الحقِ والخير ، والبُعْدِ عن الذنوبِ والمعاصي وصوارفِ الهوى والشيطان .

إنَّ مما يُعينُ على الثباتِ أمامَ الفتنِ والابتلاءاتِ صحةُ الإيمانِ وصلابةُ الدينِ ؛ فكلَّمَا كانَ الإنسانُ قوياً في إيمانه ، صلْباً في دينه ، صادقاً مع ربه ، كلما ازدادَ ثباتُه ، وقَوِيَتْ عزيمتُه وثبتَتْ حُجتُه ، وحَسْبُكَ أن صاحبَ الهجرةِ محمداً صلى الله عليه وسلم كان يدعو ربه ويسألُه الثبات " اللهم إني أسألك الثباتَ في الأمرِ ، والعزيمةَ على الرشد"

إن الثباتَ على الدينِ مطلبٌ عظيمٌ ورئيسٌ لكلِ مسلمٍ صادقٍ يحبُ الله ورسولَه صلى الله عليه وسلم ، ويريدُ سلوكَ طريقِ الحقِ والاستقامةِ بعزيمةٍ ورشد ، والأمةُ الإسلاميةُ اليومَ أحوجُ ما تكونُ إلى الثباتِ خاصةً وهي تموجُ بأنواعِ الفتنِ والمغريات وأصنافِ الشهوات والشبهات ، فضلاً عن تداعي الأممِ عليها ، وطَمَعِ الأعداءِ فيها ومما لا شك فيه أن حاجةَ المسلمِ اليومَ لعواملِ الثباتِ أعظمُ من حاجةِ أخيه المسلمِ إلى ذلك في القرونِ السالفة وذلك لكثرةِ الفسادِ ونُدْرَةِ الإخوان ، وضَعْفِ المُعين ، وقِلةِ الناصح والناصر ، والله المستعان .